خصائص العربية في ثراء دلالاتها البلاغية وتنوعها

Characteristics of Arabic in the richness and diversity of its rhetorical connotations

أ د.وهيبة بن حدو*

[1] جامعة أبي بكر بلقايد، (الجزائر-تلمسان-)، الإيميل المهني: wahiba.benhaddou@univ-tlemcen.dz

تاريخ الإرسال: 2024/04/08	تاريخ القبول:.2024/06/10	تاريخ النشر:.2024/06/13

ملخص:

تتسم اللغة العربية بفصاحتها و بلاغتها، ;و قد منحت للمتكلم سبلا كثيرة للتعبير عن أفكاره، فإذا كان كلامه موجّها لعامّة النّاس تكون ألفاظه صريحة في أداء المعنى، ولا تحقق أي نوع من الإثارة الحسية للنفس، وإنما تقدم ما تراه مشاهدا أمامها تقديما كلاميا بحيث تتطابق فيه الصورة والأصل، وهذا النوع من الكلام يفهمه كل الناس، أمّا إذا كان موجها للخاصة، ويعتمد فيه صاحبه على الخيال الذي يعمل بدافع من الحس والانفعال على اختيار الوسيلة التي يجلوا بها حقيقة الأشياء، فقد تكون هناك ضرورة ملحة لاستعمال التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الاستعمال المجازي للكلمة بحيث لا تغني العبارة الحقيقية في نفس الموضوع،

كل هذه الأشكال والقوالب تطاوع رغبة العربيّ في التعبير، وتنتقل معه في نظرته السريعة، أو في تأمله الطويل، وتكون عونا له في كشف مكنونات صدره.

الكلمات المفتاحية : البلاغة ؛ الملاءمة ؛ اللفظ والمعنى ؛ التشبيه.

Abstract:

The Arabic language is characterized by its eloquence and eloquence; It has given the speaker many ways to express his thoughts. If his speech is directed to the general public, his words are explicit in the performance of the meaning and do not achieve any kind of sensory stimulation for the soul, but present what it sees in front of it verbally so that the image and the original are identical, and this type of speech is understood by all people. But if it is directed to the special, and its owner relies on the imagination,which is motivated by sense and emotion to choose the means by which to reveal the reality of things, there may be an urgent necessity to use a simile, metaphor, metaphor, or

* وهيبة بن حدو

metaphorical use of the word so that the real phrase does not sing in the same subject matter, and this type of speech is understood by all people.

All these forms and moulds adapt to the Arab desire for expression, travelling with him in his quick glance, or in his long contemplation, and helping him in revealing the depths of his chest.

Keywords: Rhetoric; relevance ; word and Meaning ; Simile.

1.مقدمة:

اللّغة العربية لغة غنية دقيقة تمتاز بالوفرة الهائلة في المفردات و التراكيب و الصيغ، و لها جرس ورنين موسيقي فإذا تكلم ذو بيان فإنه يطرب لسماعها و يعلم بيانها و يرتاح لتباينها و هي بهذا الجرس و الرنين منحت العربي التفوق في الأداء. و يكفيها شرفا أنها حاملة الرسالة السماوية مبلغة لوحي إلهي معجزته خالدة و إعجازه أزلي، و هي ناشرة الدين الحنيف و سفيرته للعالمين.

و من خصائصها الدقة في التعبير و الفصاحة و البلاغة التي تميزت بها عن سائر اللغات، و الفصاحة هي " تمام آلة البيان" (العسكري، 1371هـ -1952م)، و لا يكون المتكلم فصيحا "حتى يكون ملما باللغة العربية، عالما بقواعد نحوها و صرفها، واسع الاطلاع على مفرداتها و معانيها الدقيقة، كثير النظر في كتب الأدب، مطّلعا على أقوال كبار الفصحاء، له دراية بأساليب العرب في شعرهم و نثرهم و أمثالهم و كناياتهم و مجازاتهم."(الميران، 1996، صفحة 127)

أما البلاغة ففي اللغة تعني "الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها ومبلغ الشيء منتهاه" (الهاشمي، 1999)، و اصطلاحا هي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهو مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة ... فمقام كل من التنكير والإطلاق، والتقديم، والذكر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب " (القزويني).

إن المتكلم لا يكون بليغا، ولا يوصف كلامه بالبلاغة حتى يكون قد أولاه قدرا من التأنق والتجويد والجمالية، والخروج عن لغة العامة إلى لغة الخاصة من فصحاء العرب الذين يلجؤون لنقل معانيهم وتجاربهم إلى إعمال الفكر والروية والذوق والخيال والعاطفة في اختيار المعاني، والألفاظ، والتراكيب، والصور الفنية البلاغية المعبرة عن الغرض في نظم خاص مقصود يتحقق به الإقناع والتأثير في المتلقي، وإلا فإنه يكون في منزلة لا يستحق معها اسم البلاغة.

فاللغة العربية منحت للمتكلم سبلا كثيرة للتعبير عن أفكاره، فإذا كان كلامه موجّها لعامّة النّاس تكون ألفاظه صريحة في أداء المعنى، ولا تحقق أي نوع من الإثارة الحسية للنفس، وإنما تقدم ما تراه مشاهدا أمامها تقديما كلاميا بحيث تتطابق فيه الصورة والأصل، و هذا ما قال عنه المبرد "والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الأصل لنفسه" (المبرد)

و هو الكلام الذي تكون الدلالة فيه على المعنى المراد:

* باللفظ الموضوع له لغة، و هو ما يسمى "حقيقة لغوية".

* أو باللفظ الدال عليه في الاستعمال العام الدارج، و هو ما يسمى "حقيقة في العرف العام".

* أو باللفظ الدال عليه عند أهل علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو في الاصطلاح الشرعي، و هو ما يسمى "حقيقة في الاصطلاح الخاص".

و هذا النوع من الكلام هو النسبة الأكبر من كل كلام، و يكون أوقع و أنفع و أجدى في الأحوال التالية:

* خطاب الذين يصعب عليهم الفهم بأسلوب غيره، كالصغار و ضعفاء التفكير.

* حينما يكون المخاطب في حالة انفعالية أفقدته الهدوء و الصفاء الفكري.

* لدى بيان الحقائق الكبرى العقدية.

* لدى بيان المبادئ التي تعلنها الشعارات.

* لدى كتابة نصوص التشرwيع أو التقنين.

* لدى التعبير عن الأحكام القضائية.

* في معظم مواقف الدعاء لله تعالى.

* في كثير من صور التعليم المنهجي.

ويشترط في هذا النوع من الكلامالفهم والإفهام، ولقد أدرك القدماء ذلك، فقد جاء عن ابن المقفع قوله: " لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك" (الجاحظ، 1998)

فإن لم يحط القول بالمعنى فقد الكلام مطلبا أساسيا فيه، وكي تتم هذه الإحاطة يجب مراعاة جملة من النّواميس اللغوية التي تحتل محل الأساس في كل عملية تواصل لغوي مهما كان مستواها، وهذه النواميس هي: ملاءمة اللفظ للمعنى، وملاءمة الكلام للمتلقي، وملاءمة الكلام للحال أو المقام.

2. الملاءمة في الكلام:

1.2الملاءمة بين اللفظ والمعنى:

إن لكل لفظة موقعا محددا في أداء المعاني، و تظهر قدرة المتكلم في مدى حذقه في اختيار اللائق بالمعنى من الألفاظ. وهذا ما لم يستطع الإمام عبد القاهر إغفاله مع أنه لم يعتد باللفظ المفرد، حيث قال: "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل..." (الجرجاني، 1994) فالإمامهنا يؤكد أمر الملاءمة بين اللفظ والمعنى،فالألفاظ أنواع كما أن الأغراض أنواع.

2.2 الملاءمة بين الكلام والمتلقي:

نادى القدماء على ضرورة مراعاة المتكلم للمخاطب وألحوا على أنه "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين" (الجاحظ، 1998، صفحة 138). لأن مدار الأمر كما يقول الجاحظ: "على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم" (الجاحظ، 1998، صفحة 93).

ويبدو أنه يشير "بمقدار الطاقة" إلى زاد المخاطب اللغوي ومنزلته في العلم، بينما يشير ."بأقدار المنزلة" إلى رتبتيه في السلم الاجتماعي وحظه من الجاه والسلطان.

وتتصل بهذين الاعتبارين الرئيسيين متطلبات أخرى ذات طابع نفسي لأن قبول الكلام والتأثر بما يحمله لا يكون إلا مع الاستعداد النفسي، لذا فعلى المتكلم أن يراعي الحالة النفسية لمخاطبيه، ومدى حرصهم على الاستماع منه، قال عبد الله بن مسعود: "حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك" (الجاحظ، 1998، صفحة 104)

وبالإضافة إلى هذه العناصر الضرورية التي يجب الانتباه إليها عند عملية التواصل برز مظهر آخر من مظاهر ملاءمة الكلام للمتلقي ألا وهو ملاءمة الكلام لما ينتظره المتلقي، لأن الكلام إذا لم يحدث شيئا جديدا للمتلقي لم يلق قبولا ولم يحقق له البغية، ولأن المتلقي ينتظر دائما من الكلام شيئا جديدا يضيفه إلى رصيده المعرفي.

3.2الملاءمة بين الكلام والمقام:

لا أحد يشك في قدرة السلف على وضع اليد على أدق خصائص اللغة الأدبية فضلا عن أبرزها كملاءمة الكلام للمقام، فقد عرفت منذ العصر الجاهلي والدليل على ذلك المثل الجاهلي المشهور "لكل مقام مقال" (الميداني، 1978)، وقول الشاعر (طه، 1378)

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاَ

وخلاصة القول إن الكلام إذا جاء مراعيا لهذه الأحوال كلها، من ملاءمة اللفظ للمعنى، والكلام للمتلقي، والكلام للمقام، "كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع" (الجاحظ، 1998، صفحة 8) وتحققت وظيفة الكلام التي يتوخاها المتكلم وينتظرها السامع وهي الفهم والإفهام.

أمّا الكلام إذا كان موجها للخاصة، ويعتمد فيه صاحبه على الخيال الذي يعمل بدافع من الحس والانفعال على اختيار الوسيلة التي يجلو بها حقيقة الأشياء، ويقدم بها فكرته "في صورة مقبولة ومعرض حسن" (العسكري، 1371هـ-1952م، صفحة 10). فلابد أن يجوز قدرا من الحسن والجمال، وذلك يقتضي من الأديب "مزيدا من التأنق والمبالغة، والتجويد والترتيب، لأن ذلك هو مناط البلاغة وبه يرقى الكلام من المألوف الذي لا يتفيأ سوى الإفهام إلى مدارج الجمال البلاغي المؤثر" (الربيعي، 1996).

ومما جاء صريحا في هذا الصدد نص لأبي سليمان المنطقي أورده أبو حيان في مقابساته، يقول فيه: "حد الإفهام والتفهم معروف، وحد البلاغة موصوف ... وليس ينبغي أن يكتفي بالإفهام كيف كان، وعلى أي وجه وقع ... والإفهام إفهامان، رديء وجيد، فالأول لسفلة الناس، لأن ذلك جامع المصالح والمنافع، فأما البلاغة فإنها زائدة على الإفهام الجيد بالوزن والبناء والسجع والتقفية، والحلية الرائعة، وتخير اللفظ، واختصار الزينة بالرقة والمتانة، وهذا الفن لخاصة الناس، لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام" (التوحيدي).

و بهذا فإن الارتقاء في درجات سلّم البلاغة العالية و الأدب الرفيع في اللسان العربي يعتمد على نصيب الكلام من عناصر الأسس الثلاثة التالية:

* الأساس الأول: الجمال المؤثر في النفس الإنسانية، المفطورة على الميل إلى الأشياء الجميلة، و حبّها، و الارتياح لها، و التأثر بها، و الانفعال السار بمؤثراتها.

* الأساس الثاني: كون الكلام في مفرداته و جمله فصيحا وفق ضوابط و قواعد و منهج اللسان العربي، و لا يخلو هذا الأساس من مؤثرات جمالية أيضا.

* الأساس الثالث: كون الكلام بليغا، أي مطابقا لمقتضى حال المخاطب به فردا كان أو جماعة، و بالغا التأثير المرجو في نفسه، و لا يخلو هذا أيضا من مؤثرات جمالية.

من هنا فقد امتدح العرب الصور البلاغية إذا أدى استعمالها إلى فائدة، فالصورة ليست حلية تالية يؤتي بها للتزيين ولكنها تعد عنصرا مهما لأن المبدع يقدم لنا من خلالها تجربته الشعورية"والأديب الحق هو من يملك القدرة على لم أطراف التجربة وتكثيفها والجمع بين الانغماس في طياتها والقدرة على بلورتها وتجسيدها في عمل أدبي قوامه الألفاظ والتركيب ... ومن الأمور البديهية قولنا: إن اللغة لا تغطي بصورة مباشرة عالم الإنسان وآفاقه لذا يفزع إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والرمز وسائر الأساليب الفنية للصورة وللتركيب الجمالي، وكذلك الإيقاع الذي يعطي أبعادا داخلية. فالصورة قادرة على التعبير عن إحساس المتكلم وبها يستطيع أن يرسم للناس الأفعال والأشياء كما هي في نفسه وهذا قد يتطلب منه: أن يجعلها أكبر أحيانا وبلون آخر أحيانا، وقادرة على السير في آفاق أبعد مرات، وهكذا يخرج من إطار المحدود إلى مجال يتسع ويستجيب إلى رغبته وهو لا يملك إلا الكلمة وسيلة، فيستحضر بها البعيد ليغدو قريبا ويذهب إلى الماضي سائلا قربا ويجنح إلى المستقبل متشوقا.

ولقد أدت الصورة الفنية في القديم وظائف شتى أهمها "التحسين والتقييم" و"الشرح والتوضيح"، و"العجب والتأثير" وغيرها من الوظائف.

إن اللغة العربية أمدّت المتكلم للتعبير عمّا يريد من معان ذهنية، و مشاعر نفسية بطرق متنوعة غير طريق الأوضاع اللغوية التي وضعت بها المفردات و العبارات لتدل دلالة مباشرة عليها، فهو يحتال للتعبير عمّا يريده من خلال ما تسعفه به ذاكرته من مفردات و عبارات بواحد فأكثر من الطرق التالية: التشبيه، و المجاز، و الاستعارة، و الكناية.

3. صور التعبير

1.3التشبيه:

التشبيه في لسان العرب المثل، "وأشبه الشيءالشيء: ماثله... وأشبهتُ فلانا وشابهته واشتبه عليّ وتشابه الشيآن واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه... والتشبيه التمثيل" (منظور، 2003)

و عرفه المبرد فقال: "واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، فإنما يُنظَرُ إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبّه بالشمس فإنما يراد: الضياء والرونق، ولا يُراد العظم والإحراق" (المبرد، صفحة 52)

وحد التشبيه: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ، والمراد بالأمر الأول المشبه، وبالثاني: المشبه به، وبالمعنى: وجه الشبه، وبالأداة: أداة التشبيه.

كان القدماء قد أكثروا من استعمال كلمة "التشبيه" من غير أن يعرّفوه، وإنما عرفوه صورة توضح الفكرة، وتحسن المعنى، فبشار بن برد يقول: "ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت إليها بفكر جيد وغريزة قوية فأحكمت سيرها وانتقيت حرها" (الأزدي) ويقول "لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول (الشافعي، 2004):

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي.

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت (عاشور، 1957)

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ" (الأصفهاني، د ت)

وقال ابن سلام وهو يتحدث عن ذي الرمة: "كان أحسن أهل طبقته تشبيها وأحسن الإسلاميين ذو الرمة" (الجمحي، 1952). وعندما أشرقت شمس الإسلام، سار شعراؤه سيرة من قبلهم مع تأثرهم بتصوير القرآن الكريم.

و قال عنه الرماني: "والتشبيه البليغ إفراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف" (الجرجاني، النكت في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976:ص 81.، 1976، صفحة 81). وقال العسكري: "والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا" (العسكري، 1371هـ-1952م، صفحة 243)

و التشبيه كثير في كلام العرب "حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد" (المبرد، صفحة 93). ولهذا قيل عن التشبيه أنه: "ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغني أحد منهم عنه" (العسكري، 1371هـ-1952م، صفحة 243). وقيل أيضا: "أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فنّ البلاغة" (القزويني، 2003).

ومثل فن التشبيه المراحل الأولى من التصوير الأدبي الرابط بين الأشياء لكونه من أقدم صور البيان ووسائل الخيال، وقد مرّ التشبيه بمراحل كثيرة حتى تطور وأصبح من أهم وسائل البيان عند العرب بعد أن تألقوا وعاشوا حياة مدنية زاهية متطورة، وكان هذا الفن أكثر الفنون وضوحا وتعبيرا عن البيئة المحيطة به على مختلف عصور الأدب، حيث جاء كثير من أنواعه وصوره الفنية الجميلة والمؤثرة في الشعر الجاهلي والإسلامي (ينظر فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، 1980).

فالتشبيه فن من فنون التعبير الجميل المؤثر تعتمده النفوس البشرية بالفطرة حين يدعوها إلى ذلك غرض أو آخر من أغراضه التي رصدها البلاغيون القدامى ، والمعاصرون "فرسخوا بخصوبتها وغناها آفاقه الرحبة التي اتسعت لفئات الأمة وطبقاتها في تحقيق مآربهم الفكرية وخلجاتهم الشعورية ومقاصدهم اليومية" (البصير، 1982).

وفي كتاب الله تعالى جاءت أيضا صور التشبيه وألوانه بكثرة، "لكنها انفردت بخصائص تميز بها القرآن عن التشبيه المعروف في الشعر، وأولى تلك الخصائص أنه يتلقف عناصره من الطبيعة ويعد جزء أساسيا ومهما في الجملة القرآنية، فيه يكمل المعنى ويبرز الفكرة؛ إذ يصورها بطريقة مؤثرة وقوية، ومن خصائصه أيضا الدقة في اختيار الألفاظ الموحية كي تتكون الصورة دقيقة وواضحة"(الفتّاح، 1992)

إن الصورة التشبيهية جزء من تكوين التجربة الشعورية عند العربي، وهي ملمح من ملاح العمل الأدبي الفني، وقد تنوعت في أشكال وقوالب تطاوع رغبة الفنان في التعبير، وتنتقل معه في نظرته السريعة، أو في تأمله الطويل، وتكون عونا له في كشف مكنونات صدره في القصائد المتأنية التي يعيد فيها التشكيل اللغوي ويشذب تداخلها، وكذلك الشأن في تلفت لا يكاد يهدأ عن يمين وشمال وإلى هذا الطرف وذاك البعيد

و يرجع اختيار أسلوب التشبيه في الكلام إلى الدواعي الرئيسية التالية:

الداعي الأول: استخدام الأسلوب غير المباشر للتعبير عن المراد، إذ هو أكثر تأثيرا في النفوس من الأسلوب المباشر غالبا، و ذلك في المجالات الأدبية، و في الموعظة، و في كثير من صور الإقناع.

الداعي الثاني: ما في التشبيه من طرق متعددة، و صور كثيرة، تعطي المعبّر البليغ مجالا واسعا لانتقاء ما يراه أكثر تأثيرا فيمن يوجّه له الكلام، أو أكثر إبداعا، و هذا أمر يشعر فيه المتكلم بلذّة الإبداع و الابتكار و إيجاد ما لم يسبق إليه، و هي نزعة موجودة في طبائع الناس الفطرية، تنمو عند الأذكياء و العباقرة، و تضمر عند غيرهم.

الداعي الثالث: ما في كثير من الصور التشبيهية من جمال يرضي أذواق المتلقين و يمتّعهم، إذ يقدّم لهم لوحات جمالية مختلفة.

و من التشبيه الحسن قول القاضي أبي قاسم التنوخي:

و ليـــلة مشتاق كأن نجومـــها قد اغتصبت عين الكرى و هي نوّم

كـأن عيـون الساهرين لـطولهـا إذا شخـصت للأنجم الزهر أنجـم

حيث شبّه الشاعر عيون الساهرين في ليلة المشتاق الطويلة بالأنجم إذا شخصت للأنجم الزهر في السماء.

2.3 الاستعارة:

للاستعارة أهمية كبيرة في العمل الأدبي؛ لما تنطوي عليه من وظائف تكسب المعنى قيمة جمالية، إلى جانب قيمتها التعبيرية.

والاستعارة في اللغة "مأخوذة من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه " (مطلوب، 1983). و "وتعور واستعار: طلب العارية. واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه...و اعتوروا الشيء و تعوّروه و تعاوروه: تداولوه فيما بينهم" (منظور، 2003، صفحة 618)

أما اصطلاحا فقد عرّفها عبد القاهر الجرجاني فقال: " الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية" (الجرجاني، أسرار البلاغة، 1954، صفحة 31).

و في اصطلاح البيانيين: استعمال لفظ ما في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب.

و هي من قبيل المجاز في الاستعمال اللغويّ للكلام، و أصلها تشبيه حذف منه المشبّه و أداة التشبيه و وجه الشبه، و لم يبق منه إلاّ ما يدل على المشبّه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدّال على المشبّه به، أو استعارة بعض مشتقّاته، أو بعض لوازمه، و استعمالها في الكلام بدلا عن ذكر لفظ المشبّه، ملاحظا في هذا الاستعمال ادعاء أن المشبّه داخل في جنس أو نوع أو صنف المشبّه به، بسبب مشاركته له في الصفة التي هي وجه الشبه بينهما، في رؤية صاحب التعبير.

و الاستعارة ليست مجرّد نقل آليّ للفظ المشبّه به، بل لا بدّ فيها من عمل فكريّ أو شعور نفسيّ يصحّح في تصوّر المتكلم هذا الاطلاق. و هي نوعان: استعارة في المفرد و استعارة في المركّب.

و قد ورد لفظ الاستعارة صريحا عند أبي عبيدة في كتابه" النقائض" حيث قال: " قال الفرزذق لجرير:

لاَ قَوْمٌ أَكْرَمُ مِنْ تَمِيمَ إِذْ غَدَتْ عُوذَ النِّساءِ يسقْنَ كَالآجَالِ

قوله" عوذ النساء" هن اللاتي معهن أولادهن، والأصل في "عوذ" في الإبل التي معها أولادها فنقلته العرب إلى النساء وهذا من المستعار وقد تفعل العرب ذلك كثيرا، قال: "والآجال" الفرق من البقر والظباء"(البصري، 1998)

ومن أوائل من عرف الاستعارة وسماها وأفاض بعض الشيء في الحديث عنها الجاحظ.فالاستعارة عنده هي "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" ورد هذا التعريف في تعليقه على البيت التالي:

وَطَفِقَتْ سَحَابةُ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْناهَا

حيث قال: " وطفقت، يعني ظلت تبكي على عرصها عيناها، عيناها هاهنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" (الجاحظ، البيان و التبيين، ، ط7، 1418هـ / 1998م: 116/1.، 1998، صفحة 153).

وإذا كان الجاحظ هو أول من عرف الاستعارة فإن ابن قتيبة هو أول من عقد لها بابا في كتابه "تأويل مشكل القرآن" حيث قال في تعريفها: "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا" (قتيبة)

ومن الاستعارة التي كشف عنها تلك الموجودة في قوله تعالى:﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾(سورة القلم) أي عن شدة من الأمر... وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه، شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة" (قتيبة، صفحة 137)

و من أمثلة الاستعارة في كلام العرب قول السّريّ الرفّاء يصف شعره:(البستاني، 1996)

إِذَا مَا صَافَحَ الأَسْمَاعَ يَوْمًا تَبَسَّمَتِ الضَّمَائِرُ وَ القُلُوبُ

شبّه الشاعر سماع أبيات شعره بقادم زائر خفيف الظلّ محبوب يزور الأسماع، و حذف المشبّه به و رمز إليه بشيء من صفات قدومه زائرا، و هي المصافحة، و أطلق فعل صافح على طريقة الاستعارة المكنية.

و شبّه الضمائر و القلوب بذي فم يتبسّم حين سروره بأمر ما لكنّه حذف المشبّه به و رمز إليه ببعض صفاته و هو التبسّم. و هي استعارة تصريحية.

3.3الكناية.

لقد جرت الكناية على ألسنة العرب فنا أدبيا، وصورا تتردد في كلامهم، وتحتفي بها أشعارهم، "فهي مظهر من مظاهر البلاغة، وأسلوبا من أساليب البيان، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، ويكمن السر في بلاغتها أنها في صور كثيرة لا تأتي بالدعوى إلا معها دليلها، والقضية إلا وفي طيها برهانها" (الهاشمي أ.، 2006).

عرّف ابن منظور الكناية فقال: كنى الشيء يكنّه كنّا و كنونا و أكنّه و كنّنه: ستره...و كنّ أمره عنه كنّا: أخفاه. " (منظور، 2003، صفحة 360)

فمادة: "كنى" يراد بها في اللغة: الستر والاختفاء.

و يقول المبرد في كتابه الكامل، "والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يكنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف . فالكناية عنده ضرب من ضروب الكلام الذي لا يقصد به معاني ألفاظه وإنما يكنى به عن غيره.

ولقد عرفها الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: "المراد بالكناية ها هنا: أن يريد المتكلم بثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود؛ فيوصل إليه، ويجعله دليلا عليه" (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 430)

و تدخل الكناية في عموم التعبير عن المراد بأسلوب غير مباشر، فهي مما يتوارى، أو يختفي بساتر، و يدل على المقصود بلازم له، أو مقارن له، أو بطرف من أطرافه أو نحو ذلك.

و من القدماء الذين توسعوا في معنى الكناية أبو عبيدة، فهي عنده تشمل:

1) عود الضمير على اسم يفاد مما سبق ومثاله: أنه جعل الضمير في قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ (سورة ص)كناية عن الشمس.

2) الكناية بمعناها البياني، ففي قوله تعالى ﴿ **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ** ﴾ (سورة النساء)يقول: كناية عن حاجة ذي البطن.

ويجيء الجاحظ فيورد للكناية أمثلة كثيرة، ويبين المراد بها، ومن ذلك قوله: "وإذا قالو: فلان مقتصد، فتلك كناية عن البخل" (الجاحظ، البيان والتبيين)، وقال:"يقال للراعي: إنه لضعيف العصا"، إذا كان قليل الضرب بها للإبل، شديد الإشفاق عليها" (الجاحظ، البيان و التبيين، ، ط7، 1418هـ / 1998م: 116/1.، 1998، صفحة 52).

كما يبين منزلة الكناية والتعريض بقوله: "أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف" (الجاحظ، البيان و التبيين، ، ط7، 1418هـ / 1998م: 116/1.، 1998، الصفحات 116-117) ويقول: "رُبّ كناية تربى على إفصاح، ولحظ يدل على ضمير" (الجاحظ، البيان و التبيين، ، ط7، 1418هـ / 1998م: 116/1.، 1998، صفحة 7)

وابن قتيبة تناول الكناية في كتابه" تأويل مختلف الحديث"، حتى أن الأمثلة التي ساقها عنها هي الأمثلة التي تلقفها العلماء بعده، وزجوها في كتبهم، قال: "وكلام العرب إيماء وإشارة وتشبيه يقولون: فلان طويل النجاد، والنجاد خمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفا قط، وإنما يريدون أنه طويل القامة، فيدلون بطول نجاده، على طوله، لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل" (الدينوري، 1995)

قسّم البلاغيون المتأخرون الكناية إلى أقسام: كناية عن صفة، كناية عن موصوف، و كناية عن نسبة. أما أغراضها البلاغية فهي كثيرة منها:

- إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مقتضى الحال يستدعي ذلك.
- كون التعبير المكنّى به ينبّه على معنى لا يؤدّيه اللفظ الصريح المكنّى عنه.
- كون المكنّى به أجمل عبارة، و أعذب لفظا من المكنّى عنه، فمراعاة الجمال الفنّي من الأغراض المهمّة التي تقصد في الكلام.
- كون المكنّى عنه مما يحسن ستره، و يقبح في الأدب الرفيع التصريح به.
- إرادة إيضاح المكنّى عنه بما في المكنّى به من توضيح له.
- إرادة بيان بعض صفات المكنّى عنه مع الاختصار، بالاقتصار على ما يذكر من صفاته لغرض يتعلق بذكرها.
- إرادة صيانة اسم المكنّى عنه.

4.3المجاز:

المجاز في اللغة من "جزت الطريق، وجاز الموضع جوزا وجؤوزا و جوازا و مجازا وجاز به وجاوزه جوازا وأجازه و أجاز غيره وجازه: سار فيه وسلكه... والمجاز والمجازاة: الموضع... وجاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته" (منظور، 2003).

ويرى ابن فارس أن المجاز: "مأخوذة من جاز يجوز إذا استنّ ماضيا نقول: جاز بنا فلان وجاز علينا فارس هذا هو الأصل، ثم نقول: "يجوز أن نفعل كذا" أي ينفذ ولا يرد ولا يمنع ونقول عندنا دراهم وضع وازنة وأخرى تجوز الموازنة أي أن هذه وإن لم تكن موازنة فهي تجوز مجازها وجوازها لقربها منها فهذا تأويل قلنا "مجازا أي أن الكلام الحقيقي يمضي لسنته لا يعترض عليه وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه" (الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، 1997).

وفي الاصطلاح هي: "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها. ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز" (الجرجاني، أسرار البلاغة، 1954).

وللمجاز أهمية في اتساع اللغة وحيويتها، وإمدادها بالمعاني الملائمة لأحوال الناس والمعبرة عما يريدون في شتى ميادين الفكر والنشاط الإنساني.

و إذا تتبعنا نشأة الكلام عن "الحقيقة والمجاز" فإننا نجد أن الجاحظ من أوائل من عرضوا لهذا الموضوع بالبحث. ففي كلامه عنهما يقول: "وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: آكله الأسود، فإنما يعنون النهش و اللذع والعض فقط، وقد قال الله عز وجل﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾ (سورة الحجرات) ويقولون في باب آخر: فلان يأكل الناس، وإن لم يكن يأكل من طعامهم شيئا، وكذلك قول دهمان النهدي:

سَأَلَتْنِي عَنْ أُنَاسٍ أَكَلُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز" (الجاحظ، الحيوان، 1356)

فالأكل في قوله: "أكله الأسد" حقيقي، أما في الأمثلة الأخرى فالآكل على اختلاف أنواعه مجازي كما ذكر.

ومن معاصري الجاحظ الذين عرضوا لذات الموضوع من زاوية خاصة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276ه)، فقد اهتم ابن قتيبة فقط بالرد على من أنكروا المجاز وزعموا أن الكلام كله حقيقة ولا مجاز فيه، وفي ذلك يقول: " لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلا، لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل ورخص السعر...، ونقول: كان الله، وكان بمعنى حدث، والله قبل كل شيء. وقال الله عز وجل: ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**﴾(الكهف) لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا انهيار ؟لم يجد بدا من أن يقول: يهم

أن ينقضّ، أو يكاد أو يقارب، فإن فعل فقد جعله فاعلا، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من ألسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ" (الأزدي، صفحة 236).

و المجاز طريق من طرق الإبداع البياني، تدفع إليه الفطرة الإنسانية المزودة بالقدرة على البيان، و استخدام الحيل المختلفة للتعبير عما في النفس من معان تريد التعبير عنها.

وقد استخدمه الناطق العربي في عصوره المختلفة، في حواضره و بواديه استخداما بارعا و واسعا جدّا، حتى بلغت اللغة العربية في مجازاتها مبلغا مثيرا للإعجاب بعبقرية الناطقين بها في العصور الجاهلية، و في العصور الإسلامية، و كان لفحول الشعراء، و أساطين البلغاء، من كتاب و خطباء، أفانين بديعة، عجيبة و معجبة من المجاز، لا يتصيّدها إلا الأذكياء و الفطناء، المتمرّسون بأساليب التعبير غير المباشر عن أغراضهم.

و ليس المجاز مجرّد تلاعب بالكلام في قفزات اعتباطية من استعمال كلمة أو عبارة موضوعة لمعنى، إلى استعمال الكلمة أو العبارة بمعنى كلمة أو عبارة أخرى موضوعة لمعنى آخر، و وضع هذه بدل هذه للدلالة بها على معنى اللفظ المتروك المستبدل به اللفظ الآخر. بل المجاز حركات ذهنية تصل بين المعان، و تعقد بينها روابط و علاقات فكرية تسمح للمعبّر الذكيّ اللمّاح بأن يستخدم العبارة التي تدلّ في اصطلاح التخاطب على معنى من المعاني ليدلّ بها على معنى آخر، يمكن أن يفهمه المتلقي بالقرينة اللفظية أو الحالية أو الفكرية.

و دواعي المجاز و أغراضه يمكن ذكر أهمّها فيما يلي:

أوّلا: أن المجاز في الكلام هو من أساليب التعبير غير المباشر، الذي يكون في معظم الأحيان أوقع في النفوس و أكثر تأثيرا من التعبير المباشر.

ثانيا: يشتمل المجاز غالبا على المبالغة في التعبير لا توجد في الحقيقة، و المبالغة ذات دواعي بلاغية متعددة، منها: التأكيد – التوضيح – الإمتاع بالجمال – الترغيب عن طريق التزيين و التحسين – التنفير عن طريق التشويه و التحقير، إلى غير ذلك.

ثالثا: يتيح استخدام المجاز فرصا كثيرة لابتكار صور جمالية بيانية لا يتيحها استعمال الحقيقة، فمعظم أمثلة التصوير الفنّي الرّائع مشحونة بالمجاز.

رابعا: استخدام المجاز يمكّن المتكلم من بالغ الإيجاز مع الوفاء بالمراد ووفرة إضافية من المعاني و الصور البديعية.إلى غير ذلك من دواعي و أغراض.

و هكذا يحمل المجاز في العبارة من المعان الممتدّة الواسعة، و من الإبداع الفنيّ ذي الجمال المعجب، ما لا يؤدّيه البيان الكلامي إذا استعمل على وجه الحقيقة في كثير من الأحيان. مع ما في المجاز من اختصار في العبارة و إيجاز، و إمتاع للأذهان، و إرضاء للنفوس ذوات الأذواق الرفيعة التي تتحسس أماكن الجمال البياني فتتأثّر به تأثر إعجاب و استحسان.

من هنا فقد امتدح العرب الظواهر البلاغية إذا أدى استعمالها إلى فائدة، ومن هذه الظواهر البلاغية تلك التي تومئ مسمياتها بأن هناك عنصرا لغويا زائدا في السياق كبعض المحسنات البديعية ومنها التجنيس مثلا، فمرجع الحسن في الجناس أن يتضمن لفتة ذهنية، وأن يضيف إلى السياق معنى لا يحصل بدونه، ليكون ذا قيمة في نقل الصورة إلى المتلقي، بقول الإمام عبد القاهر: فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا. فمبدأ الإفادة يتطلب من الكلمة أن تكون ذات قيمة فنية وإلا كانت زائدة وهذا يدخل في مجال العيب والرداءة.

4. الخاتمة:

إن نسبة الجمال في الكلام ترتقي جدّا حينما ندرك أن الأديب قد اختار الصورة البلاغية التي أوردها في كلامه لغرض فكري زائد على مجرد اختيار صورة جمالية بلاغية يذكرها علماء البلاغة.

لقد أمدّت اللغة العربية المتكلم بسبل كثيرة للتعبير عن أفكاره و مكنونات صدره بصورة جميلة تجذب له السامع و تجعله يتأثر بما يقول، و هذا ما لم تقدّمه أية لغة لمتكلّميها.

5.قائمة المصادروالمراجع:

- **القرآن الكريم برو اية ورش**
- **الكتب**
- *فتحي عبد القادر فريد، فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب*، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، 1980.
- أبو الحسن أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، *علق عليه و وضع حواشيه أحمد حسن بسج، بيروت لبنان، ط1، 1418ه1998*
- أبي هلال العسكري. *الصناعتين،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1998* .
- ابن رشيق القيرواني *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*دار الجيل، مصر، ط2، 1994.
- الأصفهاني، الأغاني،د ط، دت، طبعة بولاق الأصلية، بيروت، لبنان.
- البستاني، *ديوان سريّ الرفّاء*،ط1، 1996، دار صادر، بيروت، لبنان
- التوحيدي، ا لمقابسات .،المكتبة التجارية الكبر، مصر، دت، دط.
- الجاحظ،الحيوان .مطبعة الحلبي، دمشق، ط1، 1356ه.
- الجاحظ ، البيان و التبيين،القاهرة، كتبة الخانجي، ط1، 1998.
- الجرجاني،النكت في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، .1976
- الجرجاني، الرسالة الشافية ملحق لكتاب دلائل الإعجاز، دار الجيل،بيروت، دط، د ت
- الجرجاني,دلائل الإعجازالقاهرة،مكتبة الخانجي، دط، د ت
- أبو سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء مطبعة المدني، القاهرة،دط، دت.
- الدينوري ,*تأويل مختلف الحديث*ط1، 1995، دار الفكر للطباعة.
- الربيعي .مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء.، مكتبة الخانجي، لبنان، د ط، دت
- الشافعي ,م .(2004) .ديوان امرئ القيس .بيروت :دار الكتب العلمية.
- الفتّاح، *من بلاغة النظم القرآني* .(pp. 196-209)مصر :مطبعة الحسين الإسلامية، دط،1996.
- القزويني .*الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع* .بيروت :دار الكتب العلمية، دط، د ت.
- القزويني .*التلخيص في علوم البلاغة*.بيروت :دار الفكر العربي.، د ت د ط.
- المبرد، *الكامل* ، بيروت، دار نهضة مصر، بيروت، 1994، ط1.
- الميداني .,مجمع الأمثال .القاهرة :مطبعة عيسى الحلبي، ط1، 1992.
- الهاشمي ,*جواهر البلاغة في المعاني و البيان* بيروت :دار الفكر 2006، ط1.
- ديوان الحطيئة .القاهرة :مكتبة مصطفى البابي.

- ديوان بشار. بن برد، القاهرة :لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة.، دط، دت
- ابن قتيبة ,تأويل مشكل القرآن .المكتبة العلمية، ط1، 2006.
- أحمد مطلوب . ,معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .بغداد :المجمع العلمي العراقي.، 1983، ط1
- ابن منظور ,لسان العرب.